

نوات تلفزيونية - قناة سوريا الفضائية - الإيمان هو الخلق - الدرس (٩٥-٥٩) - العقيدة
والتوحيد : محصلة التوحيد - الفيل
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٧-٠٢-١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدير وترحيب :

أيها السادة المشاهدون ، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته ، وأهلاً ومرحباً بكم في هذه الحلقة الجديدة من برنامجكم الإيمان هو الخلق .

يسعدنا أن نكمل ما كنا قد بدأناه في الحلقة الماضية مع فضيلة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كليات الشريعة وأصول الدين في دمشق .
أهلاً وسهلاً سيد الكريم .
بكم أستاذ علاء ، جزاك الله خيراً .
الأستاذ علاء :

سيد الكريم ، تحدثنا في الحلقة الماضية ، ولن أجمل الحلقات البعيدة ، كنا في موضوع الاختيار ، وتحدثنا في مسألة الاختيار الشيء الكثير ، وبينت لنا في آخر نوع من الإضلال بعد الجزاء والحكم ، والإضلال عن الشركاء الذي يفضي إلى التوحيد ، التوحيد هو كما حذرتنا ثمرة الإيمان ، وأيضاً كل الأديان ، وكل الأنبياء ، وكل الرسالات ، وكل المناهج التي نزلت من السماء إلى الأرض تتلخص بالتوحيد ، وقلت لنا : إن التوحيد هو اعتقاد ، وأن العبادة هي سلوك ، الآن سيد الكريم بعد أن تبينا حقيقة التوحيد ما هي لوازمه التوحيد ؟
الدكتور راتب :

تعليق مهم : الدين كله توحيد :

أستاذ علاء ، لا بد من تعليق على
كلامك اللطيف ، لو أنّ رجلاً سأله
طيباً متوقفاً جداً أمضى في دراسة
الطب خمساً وثلاثين سنة ، سأله :
علمني شيئاً واحداً ، كيف أكتب وصفة؟
يقول له : كتابة الوصفة محصلة دراسة



خمس وثلاثين سنة ، أحياناً سعر العملة محصلة الثروات الباطنية والاقتصاد والتتصدير ، كل الإنتاج الزراعي والصناعي والتجاري ، والقوة العسكرية ، والقوة الدولية ، والثروات الباطنية ، كلها تتلخص بسعر العملة ، أنا أقول : الإيمان كله التفكير في خلق السماوات والأرض ، وأداء العبادات ، وإنفاق الأموال ، وطلب العلم ، كل النشاطات الدينية تضغط بالتوحيد، فالتوحيد محصلة إيمانك واستقامتك وعملك الصالح ، ومحصلة علمك ومحصلة إخلاصك ، التوحيد نهاية العلم ، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد ، لكن ليس من المعقول أن تصدق إنساناً معه مئة مليون يستدين عشر ليرات ، يكون عنده تزوير وخل خطير ، لأن من لوازم الغني أن معه مالا ، ومن لوازم الغني الإنفاق من ماله ، ومن لوازم الغني أنه اشتري بيته معمولاً يتاسب مع ثروته ، تجد إنساناً يقول : لا إله إلا الله ، لكن يتضعضع أمام غني ، ورد في بعض الآثار : " من جلس إلى غني فتضعضع له ذهب ثلثا دينه : .

يتضعضع أمام قوي ، يتضعضع أمام غني ، يبذل ماء وجهه لغير الله .

الأستاذ علاء :

هذا نوع من الإشراك سيدى ؟

الدكتور راتب :

التضعضع أمام الأغنياء نوع من الشرك :



هو إشراك ، أنا لا أصدق إنساناً يقول : لا إله إلا الله ، ثم يبذل ماء وجهه لغنى ، أو قوي من أجل أن يصل لشيء من الدنيا ، وقد دفع ثمن هذا الشيء كرامته لا أصدق ، لا أصدق إنساناً يخاف إلا من الله إذا كان موحداً. مثلاً : قال تعالى :

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

(سورة الشعراء)

أحد أكبر العذاب النفسي القلق والاستخzaء ، والخوف والإحباط ، أن ترى مع الله إلها آخر .

الأستاذ علاء :

ولم تشر الآية إلى عذاب أخروي ، وإنما دنيوي ، كما تفضلت ، العذاب النفسي الإحباط التراجع.

الدكتور راتب :

القوة والشجاعة بالتوحيد :

أما سحرة فرعون حينما رأوا العصا أصبحت ثعباناً مبيناً ، هذا ليس سحراً ، إنما هي نبوة ، فقالوا :

﴿أَمَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى * قَالَ أَمْنَتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلِمْتُمُ السَّحْرَ فَلَا يُفْعَلُنَّ لَيْدِيكُمْ وَلَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلَافٍ وَلَا صَلَبَنَّ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيْنَا أَشَدُ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾
(سورة طه)

فرعون الجبار الطاغية .

الآن :

﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾

(سورة القصص : ٦٠)

لن يكون الإنسان شجاعاً إلا بالتوحيد ،
لن يكون جريئاً إلا بالتوحيد ، لن يكون
كريم النفس إلا بالتوحيد ، لن يكون
واضحاً إلا بالتوحيد ، لن يكون عزيز
الجانب إلا بالتوحيد ، وضعف التوحيد
ذلك ، وضعف التوحيد نفاق ، ضعف
التوحيد معصية .



أنا أضع يدي على أخطر قضية في
الدين ، حينما ترى أن لا إله إلا الله ،
ولا معطي ، ولا مانع ، ولا مذل ، ولا رافع ، ولا خافض ، ولا رازق إلا الله ، علاقتك مع جهة
واحدة ، ارتاح الإنسان من الشركاء .
الأستاذ علاء :

لاحظ سيدي الكريم ، أن الكثرين منا بالطبع دون علم منه ، ودون إصرار منه على هذه المسألة
يقع في كل هذه المسائل ، لذلك ورد في بعض الآثار القدسية :

((إني والجن والإس في نبا عظيم : أخلق ويعبد غيري ، وأرزق ويشكرون غيري))

[أخرجه الحكيم البهيفي عن أبي الدرداء]

" خيري إلى العباد نازل ، وشرهم إلى صاعد ، أتحب إليهم بنعمي ، وأنا الغني عنهم ،
ويتبغضون إلى بالمعاصي ، وهم أفتر شيء إليه ، من أقبل على منهم تلقتيه من بعيد ، ومن

أعرض عني منهم ناديه من قريب ، أهل ذكري أهل مودتي ، أهل شركي أهل زيادتي ، أهل معصيتي لا أقطعهم من رحمتي

هذا ورد في كتاب ابن القيم

" إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبليهم بالمصائب لأظهرهم من الذنب والمعايب ، الحسنة عند عشرة أمثالها وأزيد ، والسيئة بمثلها وأعفو ، وأنا أرأف ببعدي من الأم بولدها " .

[ورد في الأثر]

سألتني أستاذ علاء عن لوازم التوحيد .

الأستاذ علاء :

قبل لوازم التوحيد إذا سمحت سيدي ، كيف يتتسق هذا المعنى مع حديث النبي عليه الصلاة والسلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله .

الدكتور راتب :

كيف نجمع بين شكر الناس وتوحيد الله :

بارك الله على هذا السؤال ، أنا حينما أعتقد أن الذي أعطاني هو الله ، لكن عن طريق زيد ، زيد كائن مخير ، اختار أن يعطيوني بإلهام من الله ، فأنا واجبي الأول أنأشكر الله ، ثم واجبي الثاني

حتماً أنأشكر زيداً ، لأن النبي علمنا الأدب فقال :

((مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ))

[الترمذى عن أبي هريرة]



حينما يأتييني عطاء من إنسان مخير ،
هو اختيار أن يساعدني ، هو مخير ،
اختياره أراد أن يساعدني ، لكن الله عز
وجل ألهمه ، وجعله يساعدني ، فأنا
من قلة الذوق ، ومن قلة الأدب ، ومن
الجحود ألاأشكره ، إلا أنه لما اتهمت
السيدة عائشة رضي الله عنها في
أشرف ما تملكه فتاة امرأة ، وجاعت
تبرئتها من الله عز وجل قال لها أبوها

الصديق : قومي ، وانشكري رسول الله ، قالت له : لا والله ، لا أشكك إلا الله ، وبعدها شكرته ، أنت حينما توحد تشكر الله أولاً ، وبعد هذا تشكر من جاءك هذا الخير على يديه .
الأستاذ علاء :

من أجرى الله الخير على يديه .

الدكتور راتب :

هو مخير ، اختار أن يستجيب إلى هذا النداء الإلهي ، كإنسان وقف على باب إنسان الغني ، أعطاه ، فمن قلة الذوق أن يأخذ ، ويمشي ، اشكره ، جزاك الله خيراً ، أرجو الله أن يمكنني أن أرد لك هذا الجميل ، فإذا ابتعد عن البيت قال : يا رب ، لك الحمد ، أنت الموفق ، أنت الذي أهلته ، أنت الذي أعطيتني .

الحقيقة أنه لا يتناقض أن تشكر عباد الله مع شكر الله ، وحينما ترى أن هذا الذي أعطاك له إرادة مستقلة عن الله فقد أشركت ، أما حينما ترى أن الله منحك هذا العطاء عن طريق فلان فإنك تشكر الله أولاً ، ثم تأدباً مع توجيه النبي توجه إليه وتشكره .

أستاذ علاء ، نحن مقصرون جداً في هذا الصنف الثاني ، لأن من الذي يمنع المعونة ؟ الذي لا يشكر ، أنا أتمنى على إخوتي المشاهدين أي خدمة قدمت لك من إنسان لا بد من أن تشكره ، إما باتصال هاتفي ، أو برسالة ، أو بكلمة في صحيفة .

مثلاً : طبيب بذل جهداً كبيراً ، وأخذ أجراً قليلاً ، يجب أن تتوجه بفضله ،
((من لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ))

المجتمعات الراقية حضارياً ولو كانت بعيدة عن الله دينياً من لوازمه الشكر ، كلمة شكر ، اتصال هاتفي ، بطاقة شكر ، الشكر من صلب هذا الدين .

الأستاذ علاء :

ومن هنا نفهم سيدني أنه لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل .

الدكتور راتب :

لا يعرف الفضل لأهله إلا ذووه :

كان عليه الصلاة والسلام تعظم عنده النعمة مهما دقت ، أحد الصحابة وجد على ثيابه ريشة ، فنزعها عنه ، قال له : جزاك الله خيراً ، شكر العباد لا يتناقض مع التوحيد ، بالعكس هو من لوازם التوحيد ، لذلك قال النبي الكريم :

((مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعْيُنُهُ ، وَمَنْ سَأَلْكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ اسْتَجَارَ بِاللَّهِ فَأَجِرُوهُ ، وَمَنْ آتَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَقَاتِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ))

[الترمذى عن ابن عمر]

الأستاذ علاء :

سيدي ناتي إلى لوازم التوحيد .

الدكتور راتب :

لوازم التوحيد :

١ - عدم الإشراك بالله مطلقاً :

الأية الأولى :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ
شَيْءٍ ﴾

(سورة الأنعام : ١٦٤)

الرب هو الممد ، قال تعالى :

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوِكُمْ غَورًا
فَمَنْ يَأْتِيْكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴾

(سورة الملك)

انحباس السماء عن المطر يتلف ، يلغى

كل الثروات ، فلذلك حينما أرى أن

المطر قد انهمرت البارحة ، والحمد لله تشعر أن هذه رحمة الله عز وجل ، الرب هو الممد ، لو أن الله حبس المطر عن بلد ما ، والقيادة اتخذت قراراً بإinzال المطر لكان هذا شيئاً مضحكاً ،

المطر بيد الله وحده ، هو القوي ، فلذلك :

﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًا وَهُوَ رَبُّ ﴾

(سورة الأنعام : ١٦٤)

التقوى والاستقامة سبب الرزق :

أنا أقول دائماً بالمناسبة : تقنين الإلهي تقنين تأديب ، ولا يمكن ، ولا يعقل ، ولا يقبل أن يكون تقنين الإله تقنين عجز ، قال تعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى أَمْتُوا وَاتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بِرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾

(سورة الأعراف : ٩٦)

﴿ وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾

(سورة الجن)



انحباس السماء يتلف ويلغى الثروات

إقامة القرآن في الحياة سبب الرزق :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التُّورَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ مِّنْ رَبِّهِمْ لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ ﴾

(سورة المائدة : ٦٦)

يفاس عليها القرآن الكريم ولو أن أقاموا القرآن الكريم أقمنا أحكامه في بيوننا وفي أعمالنا لأكنا من فوقنا ومن تحت أرجلنا ، إذاً : هو نقتني تأديب ، والدليل :

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَازِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدْرٍ مَعْلُومٍ ﴾

(سورة الحجر)



مرة كنت في بلد ، واحتريت مجلة علمية ، فإذا فيها بحث لفت نظري ، أن المراسد الفضائية كشفت سحابة في الفضاء البعيد يمكن أن تملأ محيطات الأرض مجتمعة ستين مرة في اليوم بالمياه العذبة ، سحابة واحدة ، نقص الأمطار نقص تأديبي ، وكلما قلّ ما في السماء ، فلذلك :

﴿ قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبِّا وَهُوَ رَبُّ ﴾

(سورة الأنعام : ١٦٤)

هو الممد ، يمدنا بالهواء ، بالماء ، بالرزق ، بزوجة ، بأولاد ، الطفل إذا جاء مشوهاً لو دفعت كل ما تملك لم تقيم صورته ، إذا جاء سليماً معافى فرحت به .

عن عبد الله بن محسن الخطمي ، وكانت له صحبة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((من أصبح منكم آمناً في سربه ، معافي في جسده ، عنده قوت يومه ، فكانما حيزت له الدنيا))

[الترمذى]

الشيء الأول :

﴿ قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبِّا وَهُوَ رَبُّ ﴾

(سورة الأنعام : ١٦٤)

الأستاذ علاء :

من اللوازم سيدى .

الدكتور راتب :

من لوازم الربوبية :

أن يكون الله رباً لك لا غيره ، الآن الرب من لوازمه أيضاً أنه يربى نفسك ، يربى جسمك بالهواء والماء ، والزوجة والأولاد ، والطعام والشراب ، والخضار والفواكه ، واللحوم والأسماك ، إذا حصل خطأ كان التأديب ، إذا حصل إسراف كان التقنين ، إذا حصل كبر كانت الإهانة والمتابعة ، والإنسان إذا تابعه الله فهو في نعمة كبيرة ، لأنه ضمن العناية المشددة .

٢ - الحكم هو الله :

الآن من لوازم التوحيد :

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَى حَكْمًا ﴾

(سورة الأنعام : ١١٤)

هناك اختلافات في الأرض ، بل اختلافات كثيرة جداً .

الأستاذ علاء :

اللازم الأول أن يكون رباً .

الدكتور راتب :

اللازم الثاني أن يكون الحكم هو الله ،
هو شرعه ، لذلك ما حسن الشرع هو
الحسن ، وما قبحه هو القبيح ، لذلك
حينما قال الله عز وجل :
﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنْوَنَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

(سورة الشراء)

عدم احتكامنا لشرع الله يوقعنا في خطأ كبير قالوا القلب السليم هو القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله ولا يقبل خبراً يتناقض مع وحي الله ولا يحكم غير شرع الله ولا يعبد غير الله .

﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَى حَكْمًا ﴾

(سورة الأنعام : ١١٤)

لو أن امرأة في بلد أجنبي رغب زوجها أن يطلقها ، إن اتجهت إلى مركز إسلامي يقضي لها بمهرها فقط ، هذا حكم الله ، أما إذا اتجهت إلى قاض في تلك البلاد يقضي لها بنصف ثروة زوجها ، فإذا كانت مؤمنة حقاً تتجه إلى القاضي الإسلامي الذي يقضي لها بشرع الله ، أما إذا رفضنا شرع الله عز وجل نكون قد وقعنا في خطأ كبير .

الأستاذ علاء :

من هنا تأتي الآية الكريمة :

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ
وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

(سورة النساء)

حتى الحرج من نوع

الدكتور راتب :

قال تعالى :

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادِّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾

(سورة المجادلة : ٢٢)

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةً إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

(سورة الأحزاب : ٣٦)

هذا شرع الله ، هذا حكم الله ، أنت مع طبيب معه بورد ، يقول لك : أوقف الملح ، لا تفك أن تناقضه ، واثق من علمه ، ومن دقة كلامه ، واثق من توجيهاته الصحيحة ، ومن دراساته العالية ، مع طبيب تستسلم ، خاطب لذلك الإمام الغزالي نفسه فقال : " يا نفس ، لو أن طبيباً منعك منأكلة تحبينها لا شك أنك تمعتن ، أيكون الطبيب أصدق عندك من الله ؟ فما أكرهك ! أيكون وعيـد الطبيب أشد عندك من وعيـد الله ؟ إذا " ما أجهـاك ! " .

حينما أصدق الطبيب ، وأبادر إلى بيع البيت المرتفع لأنـشـري بيـتاً أرضـياً حـفـاظـاً على قـلـبي ، حينما أصدق الطبيب ، ولا أصدق الله عـز وجلـ حينـما فـإـنـ من يـفـعـلـ مـثـلـ هـذـاـ جـزـاءـ جـهـنـمـ . أحياناً في الجـريـدةـ خـبـرـ بـسيـطـ ، آـنـهـ مـثـلاًـ : يـمـكـنـ أـنـ تـخـفـ رـسـومـ السـيـارـاتـ ، ثـانـيـ يـوـمـ تـهـبـطـ الأسـعـارـ بـمـئـةـ أـلـفـ لـكـ سـيـارـةـ ، بـأـرـبـعـ كـلـمـاتـ ، النـاسـ اـسـتـجـابـواـ ، وـإـلـهـ عـظـيمـ بـيـنـ أـيـدـيـنـاـ كـلـامـ نـقـرأـ صباحـاًـ وـمـسـاءـ ، فـيـهـ أـمـرـ وـنـهـيـ ، وـوـعـدـ وـوـعـيدـ ، وـالـنـاسـ لـاـ يـعـبـئـونـ .

إـذـاـ : مـنـ لـوـازـمـ التـوـحـيدـ أـنـ يـكـونـ اللـهـ رـبـنـاـ ، وـلـاـ رـبـ لـنـاـ سـوـاهـ ، وـأـنـ يـكـونـ حـكـماـ لـنـاـ شـرـعـهـ ، هـوـ
الـحـكـمـ أـمـرـهـ هـوـ الـحـكـمـ .

الأستاذ علاء :

اللازم الأخير سيدـيـ .

الدكتور راتب :



قال تعالى :

﴿ قُلْ أَعْغِرَ اللَّهِ أَتَخِذُ وَلِيًّا ﴾

(سورة الأنعام : ١٤)

الإنسان أحياناً بحاجة إلى مرجع ، في الجامعات الراقية فيها لكل خمسة طلاب أستاذ متفرغ لهم ، يرجعون إليه في اختيار المواد ، في طريقة الدراسة ، في اقتناة الكتب والمراجع ، في تنظيم وقت الدراسة ، الآن في التفاصيل فلا

بد لك من مرجع تستشيره ، تأخذ رأيه ، تستصحه ، يرشدك ، يوجهك ، الآن في التفاصيل ، في الزواج ، في العمل ، في التجارة ، في الاستخاراة ، في الاستجارة ، المؤمن بعد أن يعبد الله ، ويطبق أمره ونهيه في تفاصيل حياته يأخذ بحكم الشرع فيه ، في تفاصيل حياته يصل إلى صلاة الاستخاراة ، يسأل أهل العلم ، الولي للتفاصيل ، أنت تعبد الله رب العالمين ، وهو ربك ، في تربية جسمك ، وحاجاتك ، وتربية نفسك ، وتجعل الله حكماً في كل قضية خلافية .

الله عز وجل وليك ، أي ترجع إليه في التفاصيل ، تأسله ، تدعوه ، تصلي صلاة الاستخاراة ، ترى تفاصيل الأحكام ، ما الذي يرضي الله ، فتاتان ، الأولى دينها قوي ، والثانية دينها قليل ، فالنبي نصحي بذات الدين ، أنا الآن دخلت في التفاصيل في اختيار زوجتي ، في عمل قد يبني على إيماء الناس أبتعد عنه ، في عمل دخله قليل ، ولكنه شريف ، في خدمة للناس ، فأنا حينما أدخل في التفاصيل الله ولي ، قال تعالى :

﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾

(سورة البقرة : ٢٥٧)

الأستاذ علاء :

الله عز وجل يتولانا ، من هنا نفهم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ، وحتى يكون الله ورسوله أحب شيء مما سواهما ، الحب والولاية .

الدكتور راتب :

أنت حينما تقول : الله يتولاك ، وحينما تقول : أنا ، يتخلى الله عنك .

الأستاذ علاء :

هذا الموضوع سنكمله إن شاء الله في الحلقة القادمة ، والآن جاء وقت الفقرة العلمية ، فماذا اخترت لنا ؟

الدكتور راتب :

الموضوع العلمي : الفيل وما أدرك ما الفيل؟!!!

ننتقل إلى الفيل ، هنا إفريقيا التي أمامنا ، في هذه القارة تعيش كثير من الكائنات المتنوعة . بالمناسبة ، حدائق الحيوان في إفريقيا حدائق مفتوحة ، إذا لم يدخل الزائر إلى سيارة مصفحة يوكل ، أما الحدائق التقليدية فالحيوانات في قفص ، الآن مجتمعنا حديقة حيوان إفريقيه .

١ – هذا هو الفيل :

هذا الفيل أكبر حيوان بري على وجه الأرض ، أجسامها الضخمة تبدو ، وكأنها منزل يتحرك ، وزن فيل واحد يساوي وزن خمسين شخصاً تقريباً . تعيش الفيلة سبعين سنة في الظروف الطبيعية ، وتنجول على شكل قطعان غالباً ، وفي كل قطيع ثلاثون فيلاً تقريباً ، يقاد القطيع من قبل فيل أنثى ، والقرارات التي تتخذها تُنفذ من قبل



الجميع



وهناك نظام وانضباط كامل يسير عليه أفراد القطيع ، والذي يراعى فيه النظام الطبيعي ، يأكل كل فيل وسطياً في اليوم مئتين وخمسين كيلو غراماً من الأعشاب ، هذا يعني أن قطيعاً مؤلفاً من ثلاثة فيلاً يستهلك سبعين طناً يومياً من العشب تقريباً .

ولا شك أن حاجة الفيل إلى الماء تحت الشمس الحارقة حاجة ملحقة أيضاً ، ولهذا فهو يُضطر إلى ارتياز نبع الماء يومياً ، وليحصل على الماء والطعام لا بد له من أن يقطع مسافة خمسين كيلو متراً دون توقف أحياناً ، وهو لا يتحمل البقاء من دون ماء أكثر من ثلاثة أيام ، خلقت أجسام الفيلة بشكل يتناسب مع البيئة الصعبة الموجودة فيها .

والآن لندقق في بعض خصائص الفيلة هذه ، وذلك عن قرب ، لنرى معاً معجزات الخالق في هذه الحيوانات الثقيلة .

٢ – الخرطوم الطويل :

الحقيقة أن الخرطوم أكبر مساعد للفيلة ، عمليات متعددة كثيرة تتحقق بهذا الخرطوم ، كان العلماء في القرن الثامن عشر يظنون

أن خرطوم الفيل عضلة واحدة ، لكن البحوث الحديثة أدهشت العلماء ، ففي حين لا تتجاوز عضلات الإنسان ستمئة وتسعاً وثلاثين عضلة اكتشفوا وجود مئات الآلاف من العضلات في الخرطوم الواحد ، هذه العضلات التي تُرى على شكل حلقات بعضها فوق بعض تعطي خرطوم الفيل مرونة كبيرة .



خرطوم الفيل فيه مئات الآلاف من العضلات

يتكون الخرطوم من مجموعتين أساسيتين من العضلات ، العضلات الموصولة تقاطعياً تؤمن دوران الخرطوم حزونياً إلى الجهات كلها ، وتمكنه من التحركات الثقيلة ، وتعمل عمل الرافعة التي نستخدمها في رفع الأثقال .

المجموعة الثانية من العضلات تقوم بأدق الحركات ، وتميز بحسة اللمس كأصابع الإنسان تماماً ، والخرطوم ليس أبداً فقط ، بل هو كل شيء بالنسبة إلى الفيل ، هو الحواس كلها وأكثر ، ولذا إذا تضرر الخرطوم يمكن أن يكون سبباً في موت الفيل في مدة قصيرة .

المدافعون عن نظرية داروين يدعون أن الخصائص التي تملكها الكائنات ظهرت تدريجياً نتيجة المصادفات ، وعن هذا فإن بنية معقدة كخرطوم الفيل لا تستطيع القيام بمهمتها إلا بعد ظهور مئات الآلاف من العضلات معاً ، وفي آن واحد ، وهذا بحسب زعمهم يستغرق وقتاً طويلاً ، ولو لم تكن هذه المجموعة من العضلات موجودة معاً لعجزت الفيلة عن الحركة ، ولمات في مدة قصيرة ، وهذا لم يحدث أبداً .

إن الفيلة تستخدم خرطومها بسهولة منذ ملايين السنين على أكمل وجه ، وهذه التصاميم في أجسام هذه الحيوانات تُظهر لنا مرة أخرى بديع خلق الله تعالى .

أستاذ علاء ، نحن أمام كون مدهش بسمائه وأرضه ، ومخلوقاته الكبيرة والصغيرة ، البعوضة أحياناً فيها أشياء مذهلة ، والفيل فيه أشياء مذهلة .

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

الأستاذ علاء :

ونعود إلى الآية التي ختمت بها حلقتنا الماضية :

﴿ تَبَصِّرَةٌ وَذِكْرٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾

(سورة ق)

لا يسعنا أعزائي المشاهدين في نهاية هذه الحلقة إلا أن نشكر الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي ، أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كليات الشريعة وأصول الدين بدمشق ، إن شاء الله نلتقي في الحلقة القادمة ، شكرًا لك ، وسلام الله عليك ورحمته وبركاته

والحمد لله رب العالمين